

فتح القدير

13 - { أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجاكم صدقات } أي أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك والإشفاق : الخوف من المكروه والاستفهام للتقرير وقيل المعنى : أبخلتم وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين قال مقاتل بن حيان : إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي : ما كان ذلك إلا ليلة واحدة وقال قتادة : ما كان إلا ساعة من النهار { فإذ لم تفعلوا } ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل وأما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله : { فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم } { وتاب الله عليكم } بأن رخص لكم في الترك وإذ على بابها في الدلالة على المضي وقيل هي بمعنى إذا وقيل بمعنى إن وتاب معطوف على لم تفعلوا : أي وإذا لم تفعلوا وإذ تاب عليكم { فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } والمعنى : إذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه { والله خير بما تعملون } لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم وليس في الآية ما يدل على تقصير المؤمنين في امتثال هذا الأمر أما الفقراء منهم فالأمر واضح وأما من عداهم من المؤمنين فإنهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل أمروا بالصدقة إذا أرادوا المناجاة فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا في امتثال الأمر بالصدقة على أن في الآية ما يدل على أن الأمر للندب كما قدمنا وقد استدلل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل إمكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح فإن النسخ لم يقع إلا بعد إمكان الفعل وأيضا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدي نجاوه كما سيأتي .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : أنزلت هذه الآية { إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس } يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يومئذ في الصفه وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر : قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال : ذلك في مجلس القتال { وإذا قيل انشروا } قال : إلى الخير والصلاة وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله : { يرفع الله الذين آمنوا

منكم والذين أتوا العلم درجات { قال : يرفع الله الذين أتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤمنوا درجات وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية قال : يرفع الله الذين آمنوا منكم وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وأخرج ابن المنذر عنه قال : ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { إذا ناجيتم الرسول } الآية قال : إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما قال ذلك ظن كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا { أشفقتم } الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والنحاس وابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : [لما نزلت { يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة } قال لي النبي ﷺ : ما ترى دينار ؟ قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار ؟ قلت لا يطيقونه قال فكم ؟ قلت شعيرة قال إنك لزهيد قال : فنزلت : { أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات } الآية فبي خفف الله عن هذه الأمة [والمراد بالشعير هنا وزن شعيرة من ذهب وليس المراد واحدة من حب الشعير وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عنه قال : ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وما كانت إلا ساعة : يعني آية النجوى وأخرج سعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عنه أيضا قال : إن في كتاب الله ﷻ آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى { يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة } كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت رسول الله ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت : { أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات } الآية وأخرج الطبراني وابن مردويه قال السيوطي : بسند ضعيف عن سعد بن أبي وقاص وقال : [نزلت { يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة } فقالت شعيرة فقال رسول الله ﷺ : إنك لزهيد فنزلت الآية الأخرى { أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات }]